

مجالات التجديد في علم مقارنة الأديان

The Fields of Innovation in the Science of Comparative Religions

الأستاذ: محمد لمين إبراهيم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة الجزائر.

ملخص:

من أهمّ العلوم الإسلاميّة التي تحتاج إلى تجديد في عصرنا الحاضر هو علم مقارنة الأديان، خاصّة مع انفتاح العالم والتقاء الحضارات واختلافات الدّيانات، وما يواجهه العالم الإسلامي من شبهات إلحادية وفلسفيّة ودينيّة من شتى التّوجّهات.

ولا سبيل للخوض في هذه المعركة ولا الحلم بالنّصر فيها إلّا بعد الارتقاء بمستوانا العلمي والحضاري إلى ما توصّل إليه الغرب من بحوث ودراسات في مجال علم مقارنة الأديان والقيام بتقويمها ونقدها والاستفادة منها وإعادة إحيائها من جديد.

والطّريق الموصل لذلك هو بالتّجديد في مناهج البحث في الأديان وذلك بالتّعرف عليها وترجمتها ثمّ تنقيحها وتأصيل منهج إسلامي خاصّ بنا، وإعادة بناء أصول الاستدلال ونظريّة المعرفة بالخوض في العلوم التجريبية والإنسانيّة والاستفادة من بحوثها في تقرير أصول العقائد الكبرى وعدم الاكتفاء بالأدلة الفلسفيّة القديمة، وكذا بالتّجديد في المسائل والموضوعات المشتركة بين الأديان جميعا فيما يسمّى بفلسفة الدّين وفي المسائل والموضوعات الخاصّة بكلّ دين من الأديان، وأخيرا بإصلاح الوسائل والآليات التي تظهر قيمة تراثنا في هذا العلم وقوّته وأصالته.

الكلمات المفتاحية: مناهج البحث، فلسفة الدين، مقارنة الأديان، مجالات التّجديد.

Abstract :

One of the most important Islamic sciences that needs renewal in our time is the science of comparative religions, especially with the clash of civilizations, the differences between religions, and the atheistic, philosophical and religious suspicions facing the Islamic world. There is no way to go into this battle nor dream of victory in it except after revising our scientific level to what the West reached in terms of research and studies in the field of comparative religions. The way to do that is by renewing the research methods used in religions by translating them, then revising them and establishing our own Islamic method, and reconstructing the principles of logic and the theory of knowledge by benefiting from their new findings and researches, especially in using them for proving the major beliefs of religion and not being satisfied with the old philosophical evidences, as well as by renewing the issues of philosophy of religion and the issues specific to each religion studied, and finally by reforming the means and mechanisms that show the value of our heritage in this science and its strength and originality.

Key terms : Research Methods, Philosophy of Religion, Comparative Religions, Fields of Innovation.

تمهيد:

اتَّفَق المفكِّرون المسلمون والأساتذة المتخصِّصون في شتى أنواع العلوم الإسلاميَّة على ضرورة تجديدها وتنقيتها وتطويرها لمواكبة مشكلات الواقع والعصر، ولتقليل الهجمات المتأولية من طرف المحاربين للدِّين الإسلامي، وكذلك لإبعاد استغلال بعض مناهجها ومسائلها وموضوعاتها من طرف المتطرِّفين المنسوبين إليه.

ومن تلك العلوم الإسلاميَّة المهمَّة التي لم تحظ بكثير من الاهتمام والعناية في العالم الإسلاميِّ رغم أهميَّتها الضروريَّة والقصوى لما لها علاقة بحوار الحضارات والثقافات والدَّعوة إلى السِّلم والسَّلام والحوار والتَّعايش- هو: علم مقارنة الأديان، وهذا لأسباب تاريخيَّة وفكريَّة معروفة، دعت بكثير من المسلمين إلى اجتنابه والتَّخلي عنه بعد أن كان لهم اليد الطَّولى في تأسيسه والقيام بمبانيه وأركانه، إلى أن جاء علماء الغرب في عصر النّهضة وقاموا بإحيائه من جديد

وانعاشه ورفعته إلى أعلى التخصصات التي ساهت في رفع الفكر الغربي وتطويره لحلّ مشكلات الحياة الدينيّة بين الشعوب والطوائف، وذلك من خلال إعادة بناء مناهج علميّة جديدة لم تكن موجودة من قبل، ومزجه مع تخصصات أخرى في العلوم الإنسانيّة كعلم الاجتماع والنفس والأنسنة وغيرها وعدم الاكتفاء بدراسته من الناحية اللاهوتيّة.

وحيثما بدأت المدارس الإسلاميّة الإصلاحية بالظهور بداية من القرن التاسع عشر، كانمّا قام به ودعى إليه بعضهم هو إحياء هذا العلم وإعادة الروح إليه، وذلك بالنظر إلما توصّل إليه الغرب من مناهج مبتكرة ومساائل غير مطروحة من قبل، إلّا أنّ العمل والجهد المبذول في ذلك كان عملا فرديًا، عشوائيًا غير مُنضبطًا، ولا مُمنهجًا أو مُستوعبًا، وهذا ما يدعونا إلى البحث عن دراسة استقرائيّة تقوم بهذه العمليّة لغرض إيجاد واستخراج المجالات الجديدة المتعلقة بعلم الأديان من كافّة نواحيه: المنهجية، الاستدلالية، الموضوعية، وغيرها، وهذا بهدف الوصول إلى المجالات القابلة للتجديد فيه، وهذا ما تسعى هذه الورقة البحثية للقيام به من خلال الإجابة عن هذه الأسئلة:

- ما هي المناهج الصّحيحة التي ينبغي استعمالها في علم مقارنة الأديان؟
أهي المناهج الإسلاميّة القديمة: الجدليّة، النّقدية، الوجدانية، والمقارنة؟ أم المناهج الغربيّة: الظّاهراتية، علم النفس الدّيني، علم النفس الاجتماعي، الأنثروبولوجيا الدّينية وغيرها؟ أم ماذا؟

- طُرحت في السّاحة العلميّة الغربيّة في الآونة الأخيرة كثيرًا من الانتقادات والمراجعات على علم المنطق الصّوري وغير الصّوري الذي كان يُستعمل في كتبنا التراثية حين مجادلة وحوار أهل الأديان الأخرى، فما قيمة هذه الانتقادات والحوارات وما هي نتائجها ومناهجها البديلة المطروحة في المسائل الخاصّة بعلم آداب البحث والمناظرة وطرق الاستدلال ونظريّة المعرفة؟

- ما هي الموضوعات الجديدة التي لم تُبحث من قبل في العالم الإسلامي والتي تحتاج إلى الدّراسة بعمق وجدّيّة؟

-ما المجالات التي يُمكن خوضها في هذا العصر والتّجديد فيها فيما يتعلّق بوسائل وأساليب دراسة وتدرّيس علم مقارنة الأديان في الجامعات الإسلاميّة؟ وكيف يُمكننا القيام بذلك رغم ضعف الإمكانيّات وقلمنا؟ وللإجابة عن معظم هذه الأسئلة، ينبغي لنا النّظر إلى حال علم مقارنة الأديان اليوم في العالم الغربي وما المستوى العلمي التّخصّصي الذي وصل إليه منذ نشأته إلى يومنا الحالي وذلك باستقراءها ووصفها وتحليلها، ثمّ مقارنة حصيلاهم العلميّة خلال كلّ هذه السّنوات بما قام به المسلمون كي يتبيّن لنا ما الذي نحتاجه للتّهوض به وما هي المجالات التي لا بدّ أن ندخلها ونخوض فيها للارتقاء به والتّجديد فيه.

وعند النّظر إلى نتاج الفكر الإسلامي الغربي في علم مقارنة الأديان، يمكننا أن نقسمه إلى أربعة أقسام، وهي تمثّل المجالات التي ينقسم إليها كلّ علم من العلوم وهي: المنهج، الأدلة وأصول الاستدلال، المسائل والموضوعات، الوسائل والآليات، لذا سنقسّم هذه الورقة إلى أربعة مباحث، كلّ مبحث سنخصّصه للكلام عن مجالات التّجديد فيه في علم مقارنة الأديان.

المبحث الأول: مجالات التّجديد المتعلّقة بمناهج دراسة الأديان:

حينما ننظر إلى كتابات المسلمين في علم مقارنة الأديان منذ القرن الثّاني الهجري إلى عصرنا الحاضر¹، نجدها لا تخرج عن ثلاثة مناهج: المنهج المقارن²، المنهج التّاريخي³، والمنهج النّقدي⁴.

أمّا إذا اطّلعنا على كتابات الغربيّين في علم مقارنة الأديان والمناهج العلميّة التي استعملوها في دراسته منذ نشأته عندهم إلى العصر الحاضر فنجدها كثيرة

¹ لمطالعة أسماء المؤلّفات التي كتبها المسلمون في علم مقارنة الأديان انظر مقالة "إنتاج ما صنّفها المسلمون في مجادلة أهل الكتاب من اليهود والنّصارى عبر القرون الأربعة عشر"، للأستاذ خالد بن عليّ مفلّس.

² وأحسن من مثله وطبقه هو أبو الحسن العامري (ت 381هـ) في كتابه: "الإعلام بمناقب الإسلام".

³ خاصّة أبو الرّيحان البيرونيّ (ت 440هـ) في كتابه: "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة".

⁴ ورائده هو الإمام ابن حزم الأندلسي (ت 456هـ) في كتابه: "الفصل في الملل والأهواء والنحل".

ومتنوعة، لكن يمكن أن نقسمها إلى مجموعات مختلفة، كل منها على حسب الغرض الذي أُسس من أجله⁵:

فمنها المناهج التي تدرس الأديان داخل المجتمعات وتبحث عن أثرها فيها، ومن ضمنها المنهج الأنثروبولوجي، والمنهج الاجتماعي، والمنهج السياسي، والمنهج الاقتصادي.

ومنهم المناهج التي تدرس تدين المتدينين وتجاربهم وممارساتهم وشعورهم، ومن ضمنها المنهج الفينومينولوجي، والمنهج النفسي.

ومنهم المناهج الناقدة للأديان -نقدا كلياً أو جزئياً-، ومن ضمنها المنهج الشكّي، والمنهج الطبيعي، والمنهج النسوي.

ومنهم المناهج التي تدرس الأديان في سياقها التاريخي أو مقارنة بغيرها من الأديان، وهما المنهج التاريخي، والمنهج المقارن.

فحينما نقارن هذه المناهج الغربية الحديثة بالمناهج الإسلامية، نجد هناك فجوة كبيرة في التفاوت بينهما، كما وكيفاً، أما من حيث الكمية، فعدد المناهج المستعملة عند الغربيين في دراسة الأديان بلغت إحدى عشر منهجاً، متنوعة العلوم والمجالات، من الفلسفة إلى التاريخ، إلى السياسة والاقتصاد، إلى مختلف العلوم الإنسانية كالأنثروبولوجيا وعلم النفس والاجتماع.

أما عددها عند المسلمين فلا تكاد تفوت الثلاثة، وكلها مناهج تقليدية قديمة لا تستعين بأي علم من العلوم الفلسفية أو اللغوية أو الإنسانية الحديثة.

وتختلف في الكيفية أيضاً، فمثلاً المنهج التاريخي المستعمل عند المسلمين قليل الأدوات والوسائل، لا يرجع إلى الآثار القديمة والأحفورات ودراسة المخطوطات وتعلم لغاتها الأصلية وغيرها، أما المنهج التاريخي عند الغرب فهو قائم على هذه الأسس والأدوات.

من خلال هذا العرض الموجز نستطيع أن نستخلص مجالات التجديد في علم مقارنة الأديان المتعلقة بمناهج دراسة الأديان:

⁵ انظر: Hillary Rodrigues, John S. Harding, "Introduction to the Study of Religion"

المجال الأول: القيام بترجمة الأعمال الغربية وأبحاثها التي كُتبت في مناهج دراسة الأديان بمختلف تخصصاتها العلمية، ثم العمل على تقييمها وتنقيحها والاستفادة منها في تطوير المناهج الإسلامية التقليدية القديمة كالمناهج التاريخية والمقارن، وكذا تفعيلها وتطبيقها في عالمنا الإسلامي والعربي، مع التغلب على سلبياتها.

فلا وجود لمؤلفات إسلامية في كبريات هذه المناهج الغربية الحديثة، رغم مرور أكثر من قرنين على تأسيسها وظهور علوم فرعية خاصة بها، كعلم النفس الديني، وعلم الاجتماع الديني، والأنثروبولوجية الدينية، وعلم الآثار الديني، وعلم الظواهر الدينية، وغيرها.

ونفس الأمر يُقال بالنسبة لمناهج نقد النصوص الدينية، فتأليف المسلمين فيها شبه معدومة، على الرغم من كثرتها وتنوعها واختلاف خلفيات أصحابها وطول وجودها في الفضاء الغربي، كالمناهج المصدري، والمنهج الشكلي، والمنهج البنوي والتفكيكي والنسوي وغيرها.

المجال الثاني: نقد المناهج الفلسفية الهدمية التي فوضت لنقد الأديان، كآلتي لا تعترف إلا بالمنهج التجريبي وتنكر ما سواه من الأدلة العقلية والمناهج الإنسانية كالمناهج الطبيعية⁶، أو التي تشكك في كل مصادر المعرفة الإنسانية وتقول أن الحق لا يمكن الوصول إليه ومعرفته بيقين كالمناهج الشكي.

المجال الثالث: مواجهة اعتراضات الطبيعيين والمشككين في المناهج الأخرى التي تدرس الأديان، كالمناهج التاريخية النقدي⁷ وغيره، ومناقشتها بطريقة علمية تثبت صحتها وجدواها وقيمتها للوصول إلى نتائج موضوعية حول حقيقة الديانة المدروسة.

⁶ من الذكارة المتخصصين في علم مقارنة الأديان الذين يقومون الآن بإعداد بحث علمي لبيان فساد هذا المنهج هو الدكتور سامي عامري تحت عنوان: "العلموية: خديعة الإلحاد الجديد"، وسيصدر قريباً إن شاء الله كما أخبرني.

⁷ قد كتب في الدفاع عنه ورد الاعتراضات عليه الأستاذ (Joseph A. Fitzmyer, SJ) في كتابه: "The Interpretation of Scripture: In Defense of the Historical-Critical Method". ولم أقف على أي كتاب في المكتبة العربية يتناول هذا المجال من متخصص في علم مقارنة الأديان.

المجال الرابع: استخراج المناهج العلميّة المستعملة في القرآن الكريم والسنة النبويّة في دراسة الأديان، "فهناك في القرآن الكريم مئات الآيات حول الأديان المختلفة والمذاهب الدينيّة، فهي في بعضها تعرض نواحي تاريخيّة، وفي البعض الآخر مسائل عقديّة، وفي البعض الثالث تناقش قضايا منهجيّة، وفي البعض الرابع تتناول قضايا العلاقات الاجتماعيّة بين الأديان بأوسع معانها، وفي البعض الخامس تقدّم تقارير محدّدة حول كثير من المسائل التي تعتبر في صميم ما يعرف بفلسفة الدّين وعلم الاجتماع الدّيني، وتأتي السنة النبويّة في جانبها القولي والعملي لتلقي مزيدا من الضّوء نظريًا وتطبيقيًا على الهدي القرآنيّ..."

إنّ هذا العمل يوفّر قاعدة علميّة لدراسة القضايا المختلفة التي تناولها القرآن ممّا يدخل في اهتمام علم الأديان، كما ييسر دراسة علميّة مقارنة بين القرآن والكتب المقدّسة الأخرى من ناحية، وبين رؤية القرآن وبين الاتّجاهات المختلفة في علم الأديان المعاصر، وكثير من النظريّات التي تقدمها العلوم المعاصرة المرتبطة بالأديان مثل علم الاجتماع الدّيني، وفلسفة الدّين، وعلم تاريخ الأديان، وعلم النّفس الدّيني من ناحية أخرى.⁸

ونفس هذه المجالات التّجديدية الأربعة التي ذكرناها في مناهج دراسة الأديان تنطبق أيضا على مناهج دراسة النّصوص الدّينيّة. فللغرب مناهج حديثة لدراسة النّص الدّيني يمكن أن نستفيد منها ونوظّفها توظيفا صحيحا سواء لقراءة تراثنا أو تراث غيرنا، ومن تلك المناهج: المنهج الهرمنيوطيقي (التّأويلي)، والمنهج السّيميولوجي (الدّلالي)، والمنهج البنيوي، والمنهج التّفكيكي، ومنهج النّقد النّصي (النّقد الأدني)، والنّقد المصدري (النّقد الأعلى)، والنّقد الشّكلي، وغيرها.⁹

⁸ في علم الدّين المقارن: مقالات في المنهج". للدكتور دين محمّد محمّد ميرا، ص 197 – 198.

⁹ لمطالعة تاريخ نشأة مناهج نقد النّصوص وأنواعها انظر كتاب "Literary Criticism from Plato to the Present: An

.M. A. R. Habib, "Introduction

المبحث الثاني: مجالات التجديد المتعلقة بالأدلة وطرق الاستدلال

والبحث:

من أهم أهداف علم مقارنة الأديان هو إثبات صحة دين ما (الإسلام مثلا) مقارنة بغيره من الأديان السماوية والوضعية والمذاهب الفكرية. وطرق إثبات شيء ما أو نفيه يقوم على الاستدلال، والاستدلال كي يدل على المدلول لا بد أن تكون مقدماته صحيحة تؤدي حقا إلى تلك النتيجة بدون مغالطات منطقية، فليس من علامات صحة الاستدلال الاستكثار من الأدلة كما يتوهم الكثير، فالاستكثار ليس دليل القوة، بل قد يؤدي الاستكثار في الأدلة إلى استعمال أدلة ضعيفة نقلا أو عقلا فيستغلها المخالف ويركز عليها ويحرص على إظهارها ودحضها، وهذا قد يفهم منه عند المطالعة لأول وهلة ضعف المدلول، وإنما دليل القوة الاستدلالية تكمن في صحة مقدمات الدليل وسلامته من الاعتراض ولو كان دليلا واحدا فقط.

والمطلع على المؤلفات الإسلامية القديمة منها والحديثة، التي ألقت لإثبات أصول الإسلام الكبرى كإثبات وجود الله، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وصحة الإسلام، يجد مؤلفها يسردون الأدلة سردا ويكثرون منها جدا وينوعونها ويوسعون فيها بغض النظر عن مدى قوتها الدلالية والثبوتية إن كانت نقلية، وبدون مراجعة صحة مقدماتها المبنية عليها إن كانت عقلية.

وزيادة على ذلك تجدهم لا يطلعون على ردود المخالفين لهم على تلك الأدلة المستعملة، ولا ينتبهون إلى الاعتراضات النقلية والعقلية الموجهة لها، فيقعون زيادة على ضعف الاستدلال في ضعف البحث والاطلاع.

فنستج من هذا ضرورة التجديد في مجال الاستدلال على أصول الإسلام، وذلك من خلال الأمور التالية:

الأمر الأول: بالاعتناء بقوة الأدلة المستعملة، نقلية كانت أم عقلية، مجتنبين كل الأدلة الضعيفة أو المحتملة¹⁰.

¹⁰ انظر: "صناعة التأصيل العقدي"، مقالة للدكتور سعود العريضي، في كتاب "صناعة التفكير العقدي"، تحرير الدكتور سلطان العميري، ص 24 - 25.

الأمر الثاني: وهو تابع ومكمل للأمر الأول، تتبّع اعتراضات المخالفين على أدلتنا التي اعتمدنا عليها لإثبات أصول الدّين الإسلامي، سواء كانوا من أصحاب الدّيانات أو من الملاحدة واللادينيّين، والقيام برصدها ودراستها وتقويمها، والأخذ بما كان حقًا وترك ما كان منها باطلا. وهذه العمليّة هي الطّريقة الوحيدة التي يمكن بها تقوية الأدلّة وتحكيمها والتدقيق في دلائلها وقياس مدى صحّتها من ضعفها.

الأمر الثالث: الاستفادة بما توصّلت إليه العلوم الإنسانيّة والتجربيّة من حقائق، وتوظيفها في الاستدلال على أصول الإسلام الكبرى، كأدلة الضبط الدقيق للكون المستعملة في علم الفيزياء والكون¹¹ وتوظيفها في إثبات وجود الخالق (المصمّم الذكي كما يسمّونه)، وكأهميّة تعليق القلب بالحيّ القيوم للمتمكّن من الصّبر على مصائب الحياة وحلّ معظم المشاكل النفسيّة لدى الإنسان من ناحية علم النّفس¹²، ومدى أهميّة الابتعاد عن الرّبا والتخلّص منه لحلّ الأزمات الاقتصاديّة المعاصرة كما تمّ إثباته من ناحية علم الاقتصاد¹³.

الأمر الرابع: تحرير الأدلّة المستعملة في الرّدّ على المخالفين من الأديان الأخرى، ويظهر ذلك جليًا في وجوب عدم الاستدلال بما لا يعتبرونه دليلا وبما قد تمّ الرّدّ عليه من قبل، ويدخل في ذلك ضرورة فهم مسائل ومصطلحات ومذاهب الملل من كتبهم الأصليّة وكما فهمها أصحابها وعدم تحميلها ما لحتمل وإلزامهم ما لم يلتزموه، وعدم الاكتفاء بالنّظر في الأدلّة الفرعيّة بعيدا عن أصولهم ومقدّماتها التي بنيت عليها.

المبحث الثالث: مجالات التّجديد في المسائل والموضوعات:

المسائل والموضوعات التي تُبحث في علم مقارنة الأديان كثيرة جدا لا يمكن حصرها ولا استقصاؤها، إلّا أنّنا يمكننا أن نقسمها إلى قسمين رئيسيّين:
القسم الأول: المسائل والموضوعات التي تشمل كلّ دين من الأديان.

¹¹ انظر: "Martin J. Rees, "Just Six Numbers: The Deep Forces That Shape The Universe"

¹² انظر: "Russ Harris, "The Happiness Trap: Stop Struggling, Start Living"

¹³ انظر: بحث "تحريم الربا في الإسلام وأثره في درء الأزمات الاقتصادية"، للدكتور محمّد عمر الشّاهين.

- القسم الثّاني: المسائل والموضوعات الخاصّة بدين معيّن من الأديان.
ومظان القسم الأوّل نجدها في أحد فروع علم الأديان ألا وهو علم
فلسفة الدّين، وحينما نستعرض مسأله نجدها تدور حول المحاور التّالية¹⁴:
- البحث عن معنى الدين وحقيقته ومجالاته وحدوده، وعن مميّزات
وقواسم الأديان والمذاهب.
 - العلاقة بين الدّين والفلسفة والعلم وحدود كل منها من حيث الموضوع
والمنهج والغاية.
 - دراسة أسباب تعدّد الدّيانات وتنوّعها وتصنيفاتها المختلفة.
 - نشأة الدين وبواعثه وتطوره، وفيه تعرض نظريّات ماركس وسبنسر
ودوركممايم وفرويد وغيرهم.
 - مفهوم الألوهيّة في الأديان التوحيدية والمؤمنة بعدة آلهة، وأدلة وجود الله
عندهم العلميّة والفلسفيّة وموقف المخالفين منها.
 - مشكلة وجود الشرّ في العالم ونظرة المتديّنين وغير المتديّنين لها.
 - حقيقة التّجارب الدينيّة في ضوء العلوم التجريبيّة، وما دورها وأثرها في
الحياة الفرديّة والاجتماعيّة للمتديّنين.
 - مفهوم الوحي والتّنبؤات والمعجزات، حقيقتها وإمكانية حدوثها، أدلة ثبوتها
أو نفيها، ونظريّات الفلاسفة وعلماء المنهج التجريبي في تفسيرها.
 - الأخلاق والقيم، حقيقتها ونشأتها وضوابطها وتطوّرها في الأديان.
 - ماهيّة العبادات والطّقوس الدينيّة، وظيفتها وتاريخها وأثرها على الفرد
والمجتمع.

¹⁴ جمعت عناوين هذه المسائل والموضوعات من الكتب الغربيّة والعربيّة التّالية، وذلك بعد مقارنتها وأخذ المواضيع المشتركة
بينها: "مدخل جديد إلى فلسفة الدين" للأستاذ الدكتور مصطفى النّشّار؛ و"مدخل إلى فلسفة الدين" للأستاذ الدكتور
مصطفى النّشّار؛ "An Introduction to the Philosophy of Religion" Michael C. Rea, Michael J. Murray؛ "Introducing Philosophy Of Religion"
Chad Meister؛ "Philosophy of Religion. A Contemporary "؛ Keith E. Yandell"Introduction

- مفهوم النَّفس والرَّوح والموت والبعث والخلود، وفيه تعرض أدلة الخلود العامّة على اختلاف تفسيرها بين الدِّينيات وما يعارضها.

بعد هذا العرض والتفتيش عن تفاصيل هذه المواضيع والمسائل في دراسات وبحوث عربيّة أصيلة، نجد أنّها شبه معدومة للأسف، فكل المؤلّفات العربيّة التي تتكلم تفصيلاً عن أحد هذه المواضيع تجدها:

أولاً: محدودة وقليلة جداً، فهي لا تكاد تخرج عن مواضيع: معنى الدِّين وحقيقته¹⁵، نشأة الأديان وتطورها¹⁶، ومشكلة الشَّر¹⁷.

وثانياً: أنّها تأليف غير أصيلة، أي أن جِلّ تفاصيلها مأخوذة ومترجمة من المصادر الغربيّة، وكلّ النّظريّات والبحوث والدراسات المطروحة فيها غربيّة كذلك، فليس هناك في معظمها طرح إسلامي تأصيلي، بل مجرد نقل وتنقيح واعتراض. أمّا غيرها من مواضيع ومسائل فلسفة الدِّين، فلا نكاد نجد للمسلمين فيها تأليف خاص.

وبهذا تكون كلّ المواضيع والمسائل المتبقّية من علم فلسفة الدِّين غير المبحوثة، مجال واسع ورحب للتّجديد والبحث فيها، كمسائل والوحي والتّبوّات والمعجزات، ودراسة عبادات وطقوس الدِّينيات المنقرضة والحياة تحت ضوء علم الحفريّات والآثار والتاريخ، والبحث عن حقيقة التّجارب الدّينيّة ومشاعر أصحابها وآثارها من خلال العلوم الإنسانيّة والتجربيّة، والخوض في مجال تطوير أدلة إثبات الألوهيّة بالأدلة العلميّة والكشوفات الحديثة في علم الفيزياء والفلك والبيولوجيا، ومباحث الرّوح والنّفس والخلود ومقارنتها بما توصّل إليه علم الباراساكولوجي وغيره.

وسبب بعدنا عن هذه المواضيع هي أنّها تتطلّب معرفة ودربة وخبرة في تخصّصات العلوم الإنسانيّة والتجربيّة، وهي للأسف قليلة الوجود والفعاليّة في

¹⁵ وقد أُلّف فيها الدّكتور محمّد عبد الله دزاز كتابه: "الدين: بحوث مهيّدة لدراسة تاريخ الأديان".

¹⁶ ككتاب "تطور الأديان: قصة البحث عن الإله" للدّكتور عثمان الخشت، "نشأة الدين والتدين بين التوحيد والتطور" للدّكتور فرج الله عبد الباري، "نشأة الدِّين: النّظريّات التّطوريّة والمؤلّفة" للأستاذ الدّكتور علي سامي النّشار.

¹⁷ ككتاب "مشكلة الشَّر ووجود الله" للدّكتور سامي عامري.

العالم الإسلامي والعربي. فالتجديد فيها قائم أولاً على التّهوض بالعلوم الإنسانيّة والتّجريبية وإعطائها كلّ الوسائل والإمكانيّة المادّية والعلميّة للتّرقّي، فهي معظمها قائمة عليها ومتّبعة لمنهجها ومستخلصة منها ومن أهلها.

أمّا القسم الثّاني الخاصّ بالمواضيع والمسائل المتعلّقة بدين ما من الأديان، فمجال التّجديد فيه أعظم وأوسع، ولتّمثيل والإيضاح سنأخذ الديانة المسيحيّة أنموذجاً، لأنّها تعتبر أوسع ديانة انتشّارا في العالم، وحضورها في بلادنا وغيرها من بلدان المسلمين ليس بالقليل الهين الدّاعي إلى اجتناب الحديث عنها ودراستها كما هو واقع مع ديانات الهند والصّين مثلاً.

حين استطلاع المؤلّفات الإسلاميّة التي تتحدّث عن الديانة المسيحيّة نجدها كثيرة جدّاً ومتنوّعة، ومعظمها دائر في مواضيع الحوار الإسلامي المسيحي، أي قضايا الخلاف بين الدّيانتين كمسألة ألوهيّة المسيح والتّثليث، وعصمة الكتاب المقدّس، ومسألة صلب المسيح وقيامته من الموت، وبشارات النّبي محمّد صلى الله عليه وسلم في كتهم¹⁸.

أمّا أن نجد بحوثاً ودراسات تكلمت عن مواضيع ومسائل خاصّة بالديانة المسيحية مثل مناهج المسيحيين في تفسير الكتاب المقدّس وأصوله ومدارسه مثلاً، أو عن نظريّاتهم في تفسير مفهوم الوحي والعصمة، أو عن قانونيّة العهد القديم والجديد وتاريخها وأسباب اختيارها دون غيرها من الكتب وضوابط ذلك، أو عن مناهج نقد النّصوص الكتابيّة كمنهج النّقد النّصي والمنهج المصدري والشّكلي والتّجريبي والقانوني وغيرها، أو عن مسألة يسوع التّاريخي وآراء المؤرّخين والفلاسفة فيها، أو حتّى عن شروح وتفسير علماء المسيحيّة الكبار لكتهم المقدّسة، أو حتّى كتب الآباء الأوّلين المترجمة، أو عن نسخ نقدية للكتاب المقدّس مأخوذة من مخطوطاتها الأصليّة، ... إلى غيرها من المواضيع والمسائل التي

¹⁸ انظر: "جهود علماء المسلمين في الرّدّ على النّصارى في القرن الرابع عشر الهجري" للدكتور منقذ السّقار، وفي بابه الأوّل استعرض جهود علماء المسلمين في الرّدّ على النّصارى خلال ثلاثة عشر قرناً هجريّاً، ثمّ أردفه بجهودهم في القرن الرابع عشر في الباب الثّاني، وخلاصة المواضيع التي تكلم عنها المسلمون طوال هذه القرون كلّها هي ما تقدّم ذكره في المتن.

قلت بحثا في المكتبة الغربية والتي لا نجد لها وجودا في المقالات والبحوث والكتب العربية، فضلا عن الإسلامية.

وحتى البحوث المقارنة بين الديانة الإسلامية والمسيحية قليلة وضعيفة، لاعتماد معظمها على المراجع الثانوية العربية وعدم الرجوع إلى المصادر الأصلية.

فهذه وغيرها الكثير هي عبارة عن مجالات وموضوعات تجديدية للمتخصصين في علم مقارنة الأديان وللباحثين خاصة في الديانة المسيحية.

ومثل هذا وأكثر منه يُقال بالنسبة للديانات الأقل انتشارا في العالم وفي البلدان الإسلامية والعربية كالهندوسية والبوذية والكونفوشيوسية وغيرها.

وطريقة مختصرة لمعرفة مجالات التجديد في المسائل والموضوعات الخاصة بدين من الأديان لمن أراد الخوض فيها نقترح الآتي:

أولا: نحدّد ما الذي نريد أن نبحث فيه من مواضيع الديانة، فلكلّ ديانة كتب مقدّسة، وعقائد، وعبادات،

ثانيا: نحدّد المنهج البحثي الذي نريد استعماله في البحث، فيمكن أن نبحث في المواضيع الدينية الثلاثة السابقة مستعملين المناهج التالية:

المنهج الوصفي التحليلي، كأن نترجم كتب الهندوس ونعرف بها ونحلل مضامينها.

المنهج المقارن، كأن نقارن كتابا مقدسا ما أو فضلا منه أو موضوع فيه أو عقيدة أو شريعة ما بما يقابلها في دين آخر من الأديان.

المنهج النقدي، كأن ننقد الكتب المقدّسة أو العقائد أو الشرائع في ضوء التاريخ أو العقل أو العلم.

أو تطبيق المناهج الإنسانية والتجريبية الأخرى على هذه المواضيع الثلاثة الكبرى.

المبحث الرابع: مجالات التجديد في الوسائل والآليات:

المقصود بالوسائل والآليات هنا هي الطرق التي نستعملها لإنشاء المعارف ونشرها وتوصيلها إلى الآخرين، وهي في هذه الحالة ليست خاصة بتخصّص علم مقارنة الأديان فقط، وإنما هي عامّة وشاملة لكل علم من العلوم.

فمن الوسائل التي لا بدّ من القيام بها في مجال دراسة الأديان هي:
 أولاً: إحياء التّراث الإسلامي، والاهتمام به ينبغي أن يأخذ صوراً متعدّدة
 أوجزها فيما يلي:

أ- التّنقيب عن هذا التّراث وجمعه وتصنيفه.

ب- نشر ما لم يُنشر من هذا التّراث.

ج- دراسة نقدية تاريخية لهذا التراث.¹⁹

ثانياً: تحليل الجهود الغربيّة في مجال الأديان وتقييمها وتقويمها بعد القيام
 برصدها وترجمتها:

ف"قد أنجز الغرب الكثير خلال مئة وخمسين عاماً الماضية، سواء في ميدان
 الدّراسات الوصفية للأديان، أو ميدان المقارنة، أو تحقيق النّصوص وتفسيرها، أو
 في مجال المناهج الخاصّة بدراسة الأديان، وتميّزت هذه الانجازات بإشراك علوم
 مختلفة مما يمكن أن يفيد من قريب أو بعيد في تناول الأديان عقيدة وشريعة
 وتاريخاً ونظماً وأدباً وحضارة وفلسفة وفنّاً ومذاهب وفرق، كما تميّزت
 بشخصيات علمية توقّرت فيها وسائل الإيجاد والابداع والإفادة.

لقد أبدعت الجهود الغربية قواميس ومعاجم وموسوعات وفهارس لم
 يستطع الفكر الإسلامي المعاصر حتى من الاقتراب من بعضها فضلاً عن دراستها
 وتحليلها.

وعلى عظم ما أنجزه هذا الفكر وأهمّيته وعلى قيمة ما أبدعه ومكانته
 ممّا لا ينكرهما إلّا جاهل أو معاند، فقد امتلأت هذه الانجازات بأخطاء علمية،
 وانحرافات تفسيرية²⁰، فعلى علماء المسلمين تداركها وتصحيحها وإعادة بنائها
 على أصول علمية وإسلامية صحيحة.

ولا يتمّ هذا إلّا بعد الوقوف على أعمالهم ورسدها وتتبعها وتصنيفها
 وترتيبها وترجمتها إلى العربيّة والعمل على نشرها في المكتبات الجامعية والمراكز
 البحثية.

¹⁹ انظر: "في علم الدّين المقارن: مقالات في المنهج"، الدكتور دين محمّد محمّد ميرا، ص 203 - 208 باختصار.

²⁰ "في علم الدّين المقارن: مقالات في المنهج"، الدكتور دين محمّد محمّد ميرا، ص 209.

ثالثا: الاعتناء بدراسة وتدریس أصول الاعتقاد الكبرى كأدلة وجود بالله، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان صحة الدين الإسلامي، وذلك بعد تنقيح أدلتها وتحريها وتحكيمها من حيث قوة الاستدلال وسلامتها من الاعتراضات كما تقدم في المبحث الثاني.

رابعا: التواصل مع أهل التخصص في العلوم الإنسانية والتجريبية والمشاركة معهم في تفعيل هذه العلوم ومناهجها وتطبيقها على دراسة الأديان والمذاهب المنتشرة في العالم الإسلامي.

خامسا: الجدية في اختيار عناوين بحوث الدراسات العليا، ويجب أن يكون ذلك وفق خطة علمية كلية مرسومة ومدروسة من قبل هيئات التدريس في الكليات والجامعات خلال التراب الوطني بل العربي كله، وهذا يدعو إلى ضرورة التواصل بين الجامعات والأساتذة المتخصصين وعمل ندوات وملتقيات ودراسات ترصد البحوث العلمية وتنقحها وتبحث عن المسائل الجديدة غير المدروسة فيها فتعرضها على الباحثين المقبلين على مرحلتى الماجستير والدكتوراه.

سادسا: عمل موسوعات علمية للأديان المنتشرة في العالم من مصادرها ولغاتها ومراجعها الأصلية، وتأسيس مكاتب متخصصة للأديان تتوفر فيها جميع المصادر بحيث تكون مرجعا معتمدا للباحثين في كفى المجالات.

سابعا: أن نزل بالعلم إلى الجانب التطبيقي العملي المباشر الذي يفيد المجتمع، وكذلك تسهيل جوانبه النظرية وتسهيلها بأسلوب عام يفهمه غير المتخصصين.

ثامنا: إعادة النظر في بعض الأحكام الفقهية التي أطلقها بعض علماء المسلمين والتي سببت في تخلف علم مقارنة الأديان عندنا واجتناب كثير من الطلاب له، وذلك كأحكام تحريم النظر في الكتب المقدسة للأديان السماوية بإطلاق، فضلا عن غيرها من الديانات والمذاهب، وكالقول بعدم الجدوى في مقارنة الإسلام بغيره إذ هو الحق المطلق ولا حق ولا حكمة في غيره من الأديان، وغيرها من الأحكام التي أبعدت المسلمين عن التعايش والحوار مع الآخر المخالف له.

الخاتمة:

تحدّثنا في هذه الورقة المختصرة عن مجالات التّجديد في علم مقارنة الأديان، وذلك بالنّظر إلى ما توصّل له علماء الغرب وأنتجوه منذ نشأة هذا العلم عندهم إلى عصرنا الحاضر، ومقارنة ذلك بالمنتوج الإسلامي العربي بداية من القرن الثّاني إلى يومنا هذا، فاستخلصنا من تلك الجولة العامّة المقارنة مجالات تجديديّة لا بد لعلماء المسلمين الخوض فيها وبحثها ودراستها، ويمكن أن نلخّص تلك المجالات في الآتي:

- المناهج الخاصّة بدراسة الأديان، وذلك بترجمة الأعمال الغربيّة والقيام بتنقيحها وتقييمها ونقدها، وتأصيل منهج إسلامي مستمد من القرآن الكريم والسنة النبويّة المطهّرة، والدّفاع ضدّ اعتراضات المناهج الهدميّة للعلوم الإنسانيّة.
- تنقيح أصول الاستدلال والبحث التي يقوم عليها الدّين الإسلامي، وكذا الأدلّة التي نتعملها في خطاب المخالف.
- الخوض في مواضيع ومسائل فلسفة الدّين ببحثها بأبعاد جديدة تمزج العلوم التقليديّة بالعلوم الإنسانيّة والتّجربيّة الحديثة، وكذا بحث مواضيع ومسائل الديانات العالميّة من أصولها ومراجعتها الأصليّة.
- تحديث وتفعل الوسائل والآليات التي تمكّنتنا من تبليغ هذه البحوث والدراسات والقيام على تطويرها وتجديدها مع مرور الزّمان.

قائمة المراجع:

المراجع العربيّة:

1. الأستاذ الدكتور سعود العريفي، مقالة "صناعة التّأصيل العقدي" في كتاب "صناعة التّفكير العقدي"، مركز تكوين للدراسات والبحوث، 2014م.
2. الأستاذ الدكتور مصطفى النّشار، "مدخل جديد إلى فلسفة الدين". ط2، الدّار المصريّة، 2015م.
3. الأستاذ خالد بن عليّ مفلاس المسّمّة "إنتاج ما صنّفه المسلمون في مجادلة أهل الكتاب من اليهود والنّصارى عبر القرون الأربعة عشر"، مجلّة آفاق الثّقافة والتّراث، العدد 70، 2010م.

4. الدكتور دين محمد محمد ميرا، "في علم الدين المقارن: مقالات في المنهج"، دار البصائر، 2009م.
5. الدكتور محمد عثمان الخشت، "مدخل إلى فلسفة الدين"، ط2، مؤمنون بلا حدود، 2016م.
6. الدكتور محمد عمر الشاهين، بحث مقدّم لمؤتمر (الأزمة الاقتصادية المعاصرة أسبابها وتداعياتها، وعلاجها) بجامعة حرش في الأردن، 2010م، بعنوان: "تحریم الربا في الإسلام وأثره في درء الأزمات الاقتصادية".
7. الدكتور منقذ السقّار، "جهود علماء المسلمين في الردّ على التّصاري في القرن الرابع عشر الهجري"، نسخة إلكترونية.
- المراجع الأجنبية:

8. Chad Meister, *Introducing Philosophy Of Religion*, Routledge. 2008.
9. Hillary Rodrigues, John S. Harding, *Introduction to the Study of Religion*, Routledge.2008 .
10. Joseph A. Fitzmyer, SJ, *The Interpretation of Scripture: In Defense of the Historical-Critical Method*. PaulistPress.2008.
11. Keith E. Yandell, *Philosophy of Religion. A Contemporary Introduction*. Routledge. 1999.
12. Martin J. Rees, *Just Six Numbers: The Deep Forces That Shape The Universe*.Basic Books. 2001.
13. Michael C. Rea, Michael J. Murray, *An Introduction to the Philosophy of Religion*, Cambridge University Press, 2008.
14. Rafey Habib, *Literary Criticism from Plato to the Present: An Introduction*, Wiley-Blackwell, 2011.
15. Russ Harris, *The Happiness Trap: Stop Struggling, Start Living*. Trumpeter. 2008.